# التقديم والتأخير فِي تَفْسِيْرِ مِنْ هُدَى القُرْآنِ للمُدَرِّسِي

أ.م.د. حازم علاوي عبيد الغانمي

الباحث خالد عبد النبي عيدان الأسدي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

**المقدِّمة**

الحَمْدُ للهِ على ما أنعم ، والشكر له على ما ألهم ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله وعلى آليه الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه المنتجبين الحافظين العهد إلى قيام يوم الدين .

وبعد ..

البحث في القرآن الكريم له مذاق خاص ، فضلاً عن أن الباحث فيه . مع صدق النية . يُصيبُ أجراً عظيماً ، فكان دأبنا أن نبحث موضوعاً بلاغياً في كتاب الله العزيز الذي أبهر فحولَ البلاغة بأسلوبه ، عند عالمٍ دينيٍّ كربلائي معاصر ، فاخترنا تفسير ( **من هدى القرآن** ) للسيد محمد تقي المدرسيّ ، واستقينا منه أسلوباً بلاغياً يكاد يكون من أكثر الأساليب عناية لدى أصحاب البلاغة ، وهو ( **أسلوب التقديم والتأخير** ) ، ولما وجدنا من عناية لدى المفسر بهذا الأسلوب حدى بنا ان نجمع أرائه بعد الإستقراء لها في ثنايا كتابه موضوع البحث وكونه إضافة معرفية للمكتبة العربية والإسلامية كل هذا كان دافعاً رئيساً للشروع في هذا البحث ، وليضيء جانباً من القيمة العلمية لها .

ولم يُسَلَّط الضوء على هذا التفسير من قبل ، فكان هذا البحث بكراً في الولوج إلى آراء المعاصرين ، واعتمدنا منهج التحليل والوصف والمقارنة بين هذه الآراء وآراء المفسرين السابقين ، وكان الإختصار حاضراً في الآراء المتشابهة بين المفسرين ، فالمقارنة كانت بين مجموعة من مفسري الطوائف المختلفة وتفسير من هدى القرآن .

والحمد لله رب العالمين ...

**ملخص البحث**

هذا البحث يُسلط الضوء على جهد بلاغي لعالم شيعي معاصر من كربلاء المقدسة وهو السيد (**محمد تقي المدرسي** ) من خلال كتابه ( **تفسير من هدى القرآن** ) ومن هذا الجهد استقينا فرعاً من فروع البلاغة وهو ( **أسلوب التقديم والتأخير** ) ، فلم يغفل المفسر هذا الأسلوب في تفسيره حيث ذكر جميع مفاصله وأغراضه وخروجه عن مقتضى حال الظاهر ، وقد تناولنا ابرز أنماط هذا العلم المتجدد ، إذ هو جزء من جماليات النص القرآني من تركيب في غصن من شجرة دراسة أحوال الجملة من تقلبات في تراكيبها وهو ( التقديم والتأخير ) فوجدنا ان المفسر لم يكن منغلقاً على طائفته او مذهبه ، وانما كان يأخذ من جميع الطوائف بتعدد مشاربها وأنماط تفكيرها،وكان رأيه حاضراً ريادياً في أغلب الأحيان ، وكثيراً ما يبدأ من حيث انتهى الآخرون، وهذا يدلل على أن المفسر كان ذا اطلاع على أغلب التفاسير ، بيد ان هذا لا يمنع موافقته لهم في بعض النصوص التي يراها صائبة .

وبعد هذه المحاولة في هذا البحث لعلنا نكون قد ساهمنا في ارفاد المكتبة العربية خدمة للقرآن الكريم ، فإن وفقنا فلله الحمد ، وإلا فحسبنا أننا حاولنا ، والله من وراء القصد .

## التقديم والتأخير
## أنواعه وأغراضه البلاغية

**في اللغة :**

**التقديم** : مأخوذة من ( قَدَمَ ) ، و((القاف والدَّال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورع...))(١) ، فهو من السِبق ، وهو نقيض التأخير ، و **التأخير** : هو ضد التقديم ، حيث أن ((الهمزة والخاء والراء اصل واحد إليه ترجع فروعة وهو خلاف التقدُّم ))(٢) .

**في الإصطلاح :**

فهو تقديم لفظٍ حقَّه أن يتأخر أو تأخير لفظٍ حقه أن يتقدم ، والغرض من ذلك فائدة بلاغية ينبئ عنها السياق ، وهو أحد الموضوعات البلاغية التي عُني بها أصحاب البلاغة ، ((فإنهم اتو به دلالة على تمكنهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق))(٣) ، وأول من اكتشفه أشار إليه بوصفه مصطلحاً يدل على هذا الأسلوب هو سيبويه ت(١٧٩هـ) في كتابه (٤) ، وهذا لا يعني أنه لم يكن موجوداً قبل سيبويه بل كان معروفاً بوصفه سلوكاً كلامياً ، لكنه لم يكن معروفاً بمصطلحه وأنواعه وفنونه واغراضه ، لكن اشارة سيبويه لهذا الغرض بيَّنت سره البلاغي ، من حيث العناية ،ولفت الإنتباه إلى هذه القضية ، لذا عُدَّ رائداً من الرواد الذين أسهموا في تأسيس علم البلاغة (٥) .

ومن ثمَّ نجد الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) أيضاً ذكره في أكثر من موضع(٦) وكذلك عند أبي عبيدة ت(٢١٠هـ) يُشير إلى التقديم والتأخير في مجازه بصريح عبارته ، ففي قوله تعالى : ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [ الأنعام (٢)] ، يقول: ((مقدم ومؤخر ، وعنده أجل مسمى ، أي وقتٌ معلوم ))(٧) ، وتابع الأخفشُ ت(٢١٥هـ) أبا عبيدة في ذلك (٨) ،حتى وصل الأمر إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) فقال: بأنَّه ((باب كثير الفوائد ، جمُّ المحاسن ، واسع التصرف ،بعيد الغاية ،لا يزال يفترُّ لك عن بديعةٍ ، ويُفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شِعْراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قُدِّم فيه شيء ، وحُوِّل اللَّفظ عن مكان إلى مكان ))(٩) .

ولعلَّ سعة هذا الباب من أبواب البلاغة اتت من كونه مشتملا على الكثير من أجزاء الجملة من مسند ومسند إليه وتقديم احدهما على الآخر ، وإعطائهما في ذلك أغراضاً بلاغية وفنوناً كلامية غاية في الروعة من حيث المعاني (١٠)، و نجد ممن اعتنى بهذا الغرض السكاكي ت(٦٢٦هـ) اذ أشار إلى تقديم المسند على المسند إليه والغرض من هذا التقديم (١١) ، وأشار الخطيب القزويني ت( ٧٣٩هـ)أيضاً إلى التقديم والتأخير مستفيداً من آراء سابقيه وذلك في قوله : ((وأما تقديمه فلكون ذكره أهم ، اما لأنه الاصل ، ولا مقتضى للعدول عنه ، وأما ليتمكن الخبر في ذهن السامع ، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه ))(١٢) ، وقد ذكر الزركشي ت( ٧٩٤هـ) أغراضاً أخرى للتقديم والتأخير ، منها : الذات ، العلة ، السببية ، السبق ، التعظيم ، قصد الترتيب ، رعاية الفاصلة ..... الخ (١٣).

ومن جانب آخر نجد المفسرين قد اولوا هذا الغرض عناية غير مسبوقة ، ومن ابرزهم الزمخشري ت(٥٣٨هـ) الذي يُعدُّ تفسيره تفسيراً لغوياً بلاغياً ، اذ نجده يشير إلى التقديم والتأخير والغرض منه وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [ الفاتحة (٥)] ، يقول : ((حيثُ صرَّح بتقديم الإسم ، إرادة للإختصاص ))(١٤) ، وكذلك البيضاوي ت(٦٨٥هـ) وابن عادل ت(٨٨٠هـ) والشيخ زادة ت(٩٥٠هـ)، والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ ) (١٥) ، وغيرهم من المفسرين ، فلا تجد مفسراً يغفل عن الأغراض الدلالية والبلاغية والجمالية للتقديم والتأخير .

والسيد المدرسي أعطى لهذا الغرض البلاغي اهمية كبيرة ويرى أنه من أساليب العرب المبدعة ، وقد جاء بها القرآن الكريم لأغراض لا تكاد معروفة عند العرب قبل القرآن الكريم ، وهو أحد الأساليب القرآنية التي تحدى بها العرب إبَّان نزوله ، فمنها للإختصاص ، والإهتمام ،والحصر ، وغيرها (١٦) . ولترتيب الكلمات أهمية كبيرة لأنه ((سيكون له هدف أسمى يتمثل في بيان المعاني البلاغية . فإذا قلتَ : ( ضربتُ زيداً ) فإنَّ موضع الإهتمام عندك هو وقوع الضرب منك ، أما اذا قلت : ( زيداً ضربتُ ) فإنَّ موضع الإهتمام هو المفعول بإعتباره رجلاً هامَّاً وقع عليه الضرب ، وأما اذا قلتَ : ( أنا ضربتُ زيداً ) فإنَّ موضع الإهتمام سيكون الفاعل وهكذا))(١٧)، فالسيد المدرسي يوافق اهل اللغة والبلاغة والتفسير على ما اوردوه من اغراض بلاغية لهذا الأسلوب .

مما تقدم تبيَّن لنا أن النحويين والبلاغيين والمفسرين قد اهتموا بهذا الأسلوب ، لأنه أسلوب متداخل بين النحو والبلاغة .

*** أنواع التقديم والتأخير :**

قسّم أصحاب البلاغة وعلى رأسهم الجرجاني ت(٤٧١هـ) التقديم والتأخير على :

١ . **تقديم على نيِّةِ التأخير** : اذ يقول فيه الجرجاني : ((ذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ اذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : " منطلق زيد " و " ضرب عمراً زيدٌ " ، معلوم أنّ " منطلق " و " عمراً " لم يخرجا بالتقديم عمَّا كانا عليه ، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك ، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله ، كما يكون إذا أخرت. ))(١٨) ، من قوله هذا نستشف أنَّ هذا النوع من التقديم والتأخير هو تغيير موقعي في بنية الخطاب ليس إلاَّ ، فما كان في موقعه مرفوعاً يبقى مرفوعاً سواء تقدم أو تأخر ، لكن السيد المدرسي له رأي في التقديم والتأخير في هذا المضمار ، إذ إنَّ التغيير يكون معنوياً وليس في شكل الخطاب ، فإذا اراد المتكلم تقديم الفاعل على فعله بهذا يريد لفت نظر السامع او القارئ إلى الفاعل اكثر من الفعل (١٩) ، فإنَّ التغيير في الموقع يحدث تغييراً معنوياً خاصاً .

فقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [ الفاتحة (٥)] ، الضمير ﴿ إِيَّاكَ ﴾ في موضع نصب مفعول به لـ [نعبد ، نستعين] بالعطف على إنهما مفعولان تقدما ليُفيدا دلاليا الحصر للعبادة والإستعانة لله وحدة لا شريك له ، ولو أُخرا أي جاءا على الاصل لاتصلا من ناحية الشكل ، ولأفادا أن العبادة لله ولا مانع من عبادة غيره معه من ناحية الدلالة (٢٠) ، ((فضلاً عن ان تقديم المفعول ، أفاد في

رعاية الشرط الجمالي للفواصل القرآنية بالجناس مع : ( العالمين ، الرحيم ، الدين ، نستعين ، ..) وربما هذا هو ما عناه الجرجاني باللطافة وحسن الرونق المرافقة لأسلوب التقديم والتأخير ، فهو ذو وظيفة دلالية جمالية في وقت واحد ))(٢١) ، فإذا كان قصد الشيخ الجرجاني من التقديم والتأخير ما تقدم ، فلا تعارض بين رأيه ورأي السيد المدرسي .

٢ . **تقديم لا على نيِّة التأخير** : والمقصود في هذا النوع هو التغيير في شكل المتقدم ، أي أن الاصل فيه اذا تأخر تتغير حركته الإعرابية ، وفي تقديمه تتغير أيضاً فتجعل له باباً غير بابه الأصلي ، وكذلك اعرابه (٢٢) ، وهذا مما يحتمل أن يأخذ اللفظ مكان الآخر ، وقد مثل لذلك الجرجاني بالآية القرآنية المباركة : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم (٤)] ، وقال : ((أنَّا نعلم أن "اشتعل" للشيب في المعنى ، وإن كان هو للرأس في اللفظ ، .... وإن أُسند إلى ما أسند إليه .. تأخذ اللفظ فتُسنده إلى الشيب صريحاً فتقول : " اشتعل شيبُ الرأس" أو " الشيب في الرأس " ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة ؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها ؟ )) (٢٣) ، فالجرجاني يرى أن الأصل في الفاعل هو الشيب وللغرض البلاغي تأخر ويرى أن الإشتعال مخصوص في المعنى للشيب لا للرأس .

بينما يرى السيد المدرسي أن " الإشتعال " استعيرت لغرض بلاغي يوحي بسرعة الإنتشار ، وذلك في قوله : (( والتعبير بكلمة "اشتعل" تعبير بلاغي يُلفت النظر إلى المشاق والصعوبات التي لاقاها في عمره الطويل ، كما توحي أيضاً بسرعة الشيب في الرأس ))(٢٤) ، فقول السيد المدرسي يؤكد أن " اشتعل " للرأس لفظاً ومعنىً ، وليس للشيب في الإشتعال نصيب ، وهذا هو الصواب ، اذ لو سلمنا لقول الجرجاني لكان الإشتعال للشيب لا للرأس ، والسياق القرآني يؤكد أن الرأس هو الذي اشتعل بإنتشار الشيب .

هذه تقسيمات الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اضاف الزركشي نوعين آخرين فيكون :

٣ . **ما قُدِّمَ والمعنى عليه** : وله مقتضيات كثيرة ، منها : الرتبة ، الداعية ، السبق ، والتعظيم والشرف ، وسبق ما يقتضيه تقديمه ومراعاة اشتقاق اللفظ (٢٥) ، وغيرها من تلازمات دلالية ، وهذه مظاهر بلاغية للتقديم والتأخير .

وتابع السيدُ المدرسي الزركشيَّ في هذا التقسيم ، فقد أشار إلى هذه المعاني في تفسير عدد من الآيات القرآنية ، منها ما يفيد الرتبة جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف(٨١)] ، يقول السيد المدرسي : ((ويمكن اعتبار إِنْ هنا وصلية ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ سواء بالتجزيء أو تشريفا لخصوصية النبوة وبعض الامتيازات، فقد كانوا الأكثر عبادة ورفعة من عبد الرحمان فاتخذهم الله ولدا تشريفا كما تحكي هذا التوهم: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء(٢٦)]. ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ في رتبة العبودية وكما أنني الأوّل في درجات العصمة والولاية والرسالة بين الانبياء، إذن فأنا أوّل وأولى مَن يُتخذ ولدا لهذه الكرامة العليا. لكن هل يكون العبد ربّاً، وهل يظهر من الأنبياء تجاه الرب إلا العبودية؟ فإذن العبودية تنفي النسبة التشريفية بالولد، كما تنفي النسبة الذاتية بالطبع ))(٢٦) ، فقدَّم نفسه " عليه السلام " لأنه أعلى رتبة بين الناس في العبودية ، فتنبه السيد المدرسي لهذا التقديم بالأولية في العصمة والولاية والرسالة ، وقد أقرَّ بالعبودية لله تعالى ونفى ألوهية نفسه .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول : ((ابطال لألوهية الولد بإبطال أصل وجوده من جهة علمة .... والتعبير بأن الشرطية دون لو الدالة على الإمتناع وكان مقتضى المقام أن يُقال : لو كان للرحمن ولد ، لإستنزالهم عن رتبة المكابرة إلى مرحلة الإنتصاف ))(٢٧) ، ولم يُشر لذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وإبن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) لذلك (٢٨) ، لعل السبب هو إضافة هذا القسم بعدهم على يد الزركشي ت( ٧٩٤هـ) ، وهذا يدل على أن هذه الأغراض هي من وضع الزركشي ولم تكن مطروحة قبله ، وكذلك السيوطي ت(٩١١هـ) لم يذكرها لأن تفسيره كان معتمداً على المأثور فلم يورد هذا المصطلح في هذه الآية المباركة (٢٩) .

فقد وافق السيدُ المدرسيُّ السيدَ الطبطبائي في هذه الآية المباركة وأن التقديم لأجل الرتبة.

وقد جاء تقديم الداعية في قوله تعالى : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة (٧٢)] ، فقدَّم نفسه لأنه داعية ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إنه داعية إليه قالها بكل صراحة: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ " ثم حذر من الشرك بالله، وبين جزاء المشرك، أكد بأنه لا هو ولا غيره قادرين على مقاومة إرادة الله في نصرة الظالم، وانقاذه من النار ))(٣٠) ، فقال (رَبِّي) ومن ثمّ قال (وَرَبِّكم) ، اذ تنبه السيد المدرسي إلى هذا التقديم فلأنه داعية الى الله قدم نفسه عليهم ولم يقل ربنا ليجمع بينه وبينهم . ولم يتطرق أحد قبل السيد المدرسي إلى هذا التقديم (٣١) فهو رأي خاص به .

وجاء التقديم للسبق وإنَّ ((مفهوم السبق أشمل من مجرد التقدم الزمني إلى الإيمان، إذ يتسع للتسارع في الخيرات، والمبادرة إلى درجات الإيمان ))(٣٢) وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر(١-٢)] ، يقول السيد المدرسي في تقديم الفجر على الليالي العشر : ((وبالرغم من أن الليالي العشر سبقت الفجر، إلا إن الفجر هو الهدف منها ولذلك سبقها بالبيان، لنعلم أن عاقبة العسر يسر، وأن ليالي الجهاد والصبر والاستقامة على ظلم الطغاة ستنتهي بفجر النصر المبين بإذن الله، كما تنتهي ليالي الحج بفجر العيد. ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ قالوا: إن ﴿ وَلَيَالٍ ﴾ جاءت بلا ألف ولام للدلالة على التعظيم، بلى، وليلة الجهد والتعب طويلة كما ليلة الترقب والانتظار، وليالي المؤمنين مزيجة أبدا بالجهد المكثف والانتظار معاً فما أطولها))(٣٣) ، فتقديم الفجر جاء في هذه الآية المباركة لبيان الهدف رغم أن حق الليالي بالتقديم ، فقد أشار السيد المدرسي إلى المغزى المراد من هذا التقديم.

وجاء لغرض السبق في ( من هدى القرآن ) في أكثر من موضع أشار إليها السيد المدرسي(٣٤) ، وما ذكرناه على سبيل المثال .

و جاء التقديم للتعظيم في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [الحج (٢٧)] ، يقول السيد المدرسي في تقديم الحج على الشعائر الباقية : ((هكذا يبدأ السياق بذكر الحج من (الآية: ٢٦)، ويستمر ببيان جانب هام من التقوى، هو تعظيم حرمات الله واحترام شعائره، وينهى عن الأوثان، ويأمر برفضها عبر الحنيفية التي تعني الطهارة والنقاء ))(٣٥) ، فجاء التقديم للحج لغرض التعظيم .

ومن مراعاة اشتقاق اللفظ جاء في تقديم القلب في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج(٤٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ قد يكون اشتقاق ﴿قُلُوبٌ ﴾ لغوياً من الفعل (قلب- يقلب) أي تقليب الأمر بشتى وجوهه واحتمالاته فيكون مدلول القلب قريباً من مدلول (الفكر)، فيكون معنى الآية: أفلا يتفكرون في الحياة، ويعقلون حقائقها، وكيف حلَّ بمن قبلهم لما عصوا وكانوا يعتدون ))(٣٦) ، فتنبه السيد المدرسي إلى هذا الإشتقاق وقربه من الفكر ، لذا قُدِّم على العقل .

وهذه الموارد لم يُشر إليها الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبي حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ)(٣٧) ، اذ كان تفسيرهم فقهياً وعقدياً ، ولم يتطرقوا لهذه المعاني البلاغية .

**٤ . ما تقدَّم في آية وتأخر في آية أُخرى :**

في القرآن الكريم وردت ألفاظ تقدمت في آية وتأخرت في آية أخرى ، وكل من هذين الغرضين له معناه السياقي القرآني الذي يريد أن يؤديه ، فلا يؤدي معنى السياق إلا بكامل مفرداته في القرآن الكريم ، وهذا ما تفرد به كلام ربنا عزَّ وجل دون غيره من الكلام .

((فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة (١)] ، وخاتمة الجاثية : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾ [الجاثية(٣٦)]، فتقديم (الحمد) في الاول جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب ، فكأن قيل : عند وقوع الأمر : لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك ))(٣٨) ، ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾.

ولم يأتِ التقديم والتأخير في القرآن الكريم اعتباطاً ، وإنَّما جاء بصيغة اسلوب فنيٍّ مقصود ، لأن الجملة العربية تخضع لترتيب خاص في سياق الكلام ، مراعاةً للوظائف التي تشغلها اركانها الإسنادية في موضعها الأصلي ، فالخرق الحاصل لهذا النظام اللغوي هو زيادة في المعنى الدلالي يضيفه للسياق الوارد فيه ، فينقل المعاني من السطحية إلى معانٍ عميقة (٣٩) .

**<u>الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير</u> :**

ذكرنا بشكل مختصر أن لهذا الإسلوب البلاغي أغراضاً يؤديها من خلال التغيير في بنية الجملة ، حيث ينقل المعنى إلى اكثر من المعنى الظاهر المعروف من خلال الألفاظ الواردة في السياق ومن هذه الاغراض :

**١. التخصيص :**

وهو من الأغراض البلاغية التي يفيدها اسلوب التقديم والتأخير من خلال سياق الخطاب ، وللسيد المدرسي رأي في البسملة ، إذ لا يُقدر أفعالاً [ أقرأ ، أتلو ، أبتدأ ] كما قدر ذلك المفسرون(٤٠)،وإنَّما طبق رأي الأصوليين فيها فإنَّه يرى أن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾[الفاتحة (١) ] تكفي لإيراد معنى كامل وهذا من المخصوصات بالله تعالى (٤١)، ومن

التخصيص ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة (٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((تؤكد السورة الشريفة على تخصيص الحمد لله وحده، فنذكره بالصفات الحسنى لأنه رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم الذي خلق العالمين برحمته، ولأن مصيرهم إليه، فهو مالك يوم الدين، حيث يحكم بينهم بالعدل، فنعبده ونتوسل إليه ونستعين به، فنهتدي بأوامره فقط، ولا نكون عبيداً لمخلوقاته ))(٤٢) ، ونستنتج من هذا أن التخصيص عند السيد المدرسي يكون في تقديم المسند اليه أيضاً لا في المسند فقط ، لأنه أشار إلى معنى التخصيص في المبتدأ في هذه الآية المباركة .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((فيتخصص الحمد بتخصص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث ..))(٤٣) ، فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان في تفسير هذه الآية المباركة ، اذ أنها لتخصيص الحمد لله وحده .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَّن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ [ الكهف(١٤)] ، يقول السيد المدرسي بسبب تأخير ﴿إِلَٰهًا﴾ : ((فكلمة ﴿ إِلَٰهًا ﴾ تشير إلى عدم التخصيص بالملك الذي كان يحكم في زمانهم، بل إلى كل من يتصف بادعاء الندية لله سبحانه وهكذا كانت رؤيتهم صافية. لأنَّ الله سبحانه أيدهم وربط على قلوبهم))(٤٤)، فالتأخير أدى إلى عدم التخصيص بالألوهية ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى أن التقديم والتأخير له الأثر البالغ في إيراد المعاني العميقة الواردة في السياق القرآني ، فالتأخير هنا أدى إلى معانٍ عميقة أبعد من المعاني الظاهرة ، ألا وهي نفي الثابت وعدم التخصيص .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [ الأحزاب(٧)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل وجه التخصيص أن أولي العزم أكرم الناس عند الله، فهم أكثرهم تعرضا للبلاء والمصاعب))(٤٥) ، اذ رأى السيد المدرسي أن تقديم المسند ﴿ مِنْهُمْ ﴾ على المسند عليه ﴿مِيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ أدى إلى معنى التخصيص . إذن مما تقدم تبين لنا أن السيد المدرسي قد تنبه إلى المغزى من التقديم والتأخير في السياق القرآني ، وما الغرض منه . وما اوردناه هو للمثال لا للحصر ، فقد وجدنا خروج هذا الإسلوب لغرض التخصيص في التفسير كثيراً ، فإرتأينا أن نذكر نماذج فقط (٤٦) .

**٢. الحصر :**

من الأغراض التي أفادها القرآن الكريم في سياقاته المختلفة هو [ الحصر ] ، وهذا ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [ الفاتحة (٥)] ، كما نوهنا في موضوع الإلتفات ، أن السيد المدرسي فسر هذه الآية في سورة الأحزاب مع آية التطهير لبيان التحوُّل الحاصل فيها من الغيبة إلى الخطاب ، وفي المورد ذاته يذكر أنها تفيد الحصر ، وذلك في قوله : ((... عبارة : نعبدك ونستعينك ، تحمل الظن أننا نعبد غيره تعالى أيضاً ، أمّا وقد تقدمت كاف الخطاف (*) التي تخص بالخطاب فقد حصرت العبادة والإستعانة في الله وحده ))(٤٧) ، فقد بيَّن السيد المدرسي أن تقديم المفعول به هنا أفاد معنى الحصر .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي اذ يقول : (( فهو تعالى مالك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد وغير مملوك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد فهناك حصر من جهتين ، الربّ مقصور على الملكية ، والعبد مقصور على العبودية ، وهذه التي يدل عليه قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ حيث قدم المفعول وأطلق العبادة .... ))(٤٨) .

في حين الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) يذهبان على أن هذه الآية المباركة تفيد التخصيص (٤٩) ، لكن حصر العبادة في الله أقرب للسياق من التخصيص ، فما ذهب إليه السيد الطباطبائي والسيد المدرسي أقرب .

وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [ سبأ (٤٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل تقديم المفعول الذي يدل على الحصر يوحي بأن طبيعة العبادة لا تتجزأ، فلو كانوا يعبدون الملائكة حقا فلابد أنهم كانوا يخلصون العبادة لهم ))(٥٠) .

لكن أبا حيان ت(٧٤٥هـ) يرى ان التقديم هنا جاء للبلاغة ولرعاية الفاصلة ، وذلك في قوله : ((و(إياكم) مفعول (يعبدون) ولما تقدم انفصل . وانما تقدم ، لأنه ابلغ في الخطاب ، ولكون (يعبدون) فاصلة ، فلو أتى بالضمير منفصلاً (**) كان الترتيب : يعبدونكم ولم تكن فاصلة ))(٥١).

ولا ضير أن يأتي التقديم هنا للحصر ومراعاة للفاصلة ، فأبو حيان الاندلسي لم يشرح قوله : (أبلغ في الخطاب) ربما قصد معنى الحصر وهذا وارد لأنه من الفنون البلاغية التي يقدمها التقديم والتأخير في الألفاظ الواردة في سياق الآيات القرآنية المباركة ، وقد تنبه السيد المدرسي إلى المعنى الذي أعطاه التقديم ـ تقديم المفعول به ـ ههنا الحصر وهو الأقرب للسياق .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر (٦٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وفي مقابل دعوة الله نبيه وبالتالي كل مؤمن لرفض الشرك في الآيتين المتقدمتين، يدعوه في هذه الآية لعبادة الله وحده وشكره على توفيقه له لعبادته. لأن ذلك من أكبر نعم الله على الإنسان. ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وفي تقديم كلمة اللَّهَ (المفعول به) على الفعل والفاعل ﴿ فَاعْبُدْ ﴾ دلالة على أن العبادة يجب أن تكون خالصة منحصرة لله وحده. وهذا يشبه تقديم الضمير المنفصل ﴿ إِيَّاكَ ﴾ وهو المفعول على الفعل والفاعل نَعْبُدُ في سورة الحمد، أما الشكر المأمور به فهو على عبادة الله التي لا تتم إلا بتوفيق الله أو هو على عموم نعم الله)) (٥٢) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى تقديم المفعول به لفظ الجلالة [ الله ] للدلالة على حصر العبودية له سبحانه .

**٣. للترتيب :**

جاء هذا الغرض في بلاغة التقديم والتأخير للألفاظ لترتيب الأشياء ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ [ المدثر(١٨)] ، ينقل السيد المدرسي بعض آراء المفسرين ويوافقها ، فيقول : ((والتفكير هو تقليب وجوه الرأي، والتقدير هو تحويل التفكير إلى خطة بعد الدراسة، يقال: فَكَّر في الأمر وتَفَكَّرَ، إذا نظر فيه وتدبر، لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيأه، وهو المراد من قوله: ﴿وَقَدَّرَ﴾ (*) ، وقال العلامة الطباطبائي: والتقدير عن تفكير نظم

معاني وأوصاف في الذهن بالتقديم والتأخير، والوضع والرفع لاستنتاج غرض مطلوب، وقد كان الرجل يهوى أن يقول في أمر القرآن شيئا يبطل به دعوته (**) ، ولقد توهم الوليد بتفكيره وتقديره أن تهمة السحر ستدحض الحق .. وليس الأمر كذلك ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ، ولقد ذم الله تفكره لأنه. فكر فكراً يحتال به للباطل، لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لم يكن مذموما بل كان ممدوحاً (***) ، لأن التفكير والتخطيط بإعمال العقل على ضوء المعلومات والمعطيات أمر حسن بذاته، وإنما جاءت رسالات الله وبعث الأنبياء لغرض إصلاح الناس وهدايتهم باستثارة العقول ))(٥٣) ، ولم يعارض السيد المدرسي أحدا من المفسرين بل وافقهم في ان هذه الآية في تقديمها وتأخيرها لبعض ألفاظها أفادت ترتيب الأشياء.

**٤. العناية :**

من الأغراض التي يؤديها التقديم والتأخير هي العناية بالمتقدم وما حقه التأخير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [ الصافات (٨٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((قال المفسرون : إنما قدَّم كلمة  أَئِفْكاً  وهي مفعول ، للعناية الخاصة بها ولبيان أن كل تبريراتهم لعبادة الآلهة خاطئة فليسوا هم إلا كاذبين. وهذا يمثل قمة التحدي، من إبراهيم عليه السلام لذلك الضلال المنتشر بين قومه ))(٥٤) .

وقد ذهب إلى هذا المعنى الزمخشري ت(٥٣٨هـ) في قوله : ((إنما قدم المفعول على الفعل للعناية ))(٥٥) وكذلك ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى أن التقديم ههنا أفاد العناية بقوله : ((وقدَّمه عناية به ))(٥٦) ، وإلى هذا المعنى ذهب السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) (٥٧) أيضاً.

فالسيد المدرسي وافق الزمخشري واباحيان والسمين الحلبي في هذه الآية المباركة ، أن التقديم ههنا للعناية ، لأنه لم يُعترض عما قالوا به مما يتبين موافقته لهم ، فهي للعناية .

**٥. التنبيه :**

وهو من الأغراض التي يفيدها التقديم والتأخير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر(٣)] ، يشرح السيد المدرسي هذه الآية شرحا مفصلاً ويبين ان التقديم ههنا جاء للتنبيه بعد أن يذكر رأي الرازي ، فيقول : ((ولعل من مفاهيم تكبير الله أن يسعى الإنسان المؤمن لتحطيم كيان الضلال والكفر، كي تتهاوى أنظمة الاستكبار والإفساد، وتبقى كلمة الله هي العليا في الواقع السياسي والاجتماعي، ويكون هو الأكبر في نفوس الناس ووعيهم، وتكبره ألسنتهم بالغدو والآصال، قال الفخر الرازي: وهذا تنبيه إلى أن الدعوة إلى معرفة الله ومعرفة تنزيهه مقدمة على سائر أنواع الدعوات (*) ، والذي يريد أن يدعو الناس إلى التوحيد يجب عليه أن يسقط كل الأصنام في نفسه بالتكبير أولا، ثم يقدم نفسه نموذجا حقيقيًّا لرسالته، فإن ذلك يعظِّم الله ويكبِّره في نفوس الآخرين ))(٥٨) .

نرى أن السيد المدرسي قد وافق الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في هذا المورد ، في أن تقديم المفعول به أفاد التنبيه في المعنى .

٦. **الحذر والإحتراز :**

من الفوائد التي يأتي لأجلها التقديم والتأخير هو الحذر والإحتراز ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر(٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((أي اقطع صلتك به. واختُلف في الرجز فقيل: هو الأصنام والأوثان عن ابن عباس، وقيل: المعاصي عن الحسن، وقيل معناه: جانب الفعل القبيح والخلق الذميم، وقيل معناه: أخرج حب الدنيا من قلبك لأنه رأس كل خطيئة (*) ، وقيل:
اهجر ما يؤدي إلى العذاب (**) ، وقال الرازي : الرجز العذاب، قال الله تعالى : ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ [الأعراف(١٣٤)] أي العذاب، ثم سُمِّي كيد الشيطان رجزا لأنه سبب للعذاب، وسميت الأصنام رجزا لهذا المعنى، فعلى هذا القول تكون الآية دالة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصي(***)
، ومثله صاحب الكشاف والميزان. وعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: هِيَ الأَوْثَانُ (****) .

وكل ما ذكره المفسرون صحيح، إلا أنه مصاديق لشيء واحد هو الباطل، وأظهر مفردات الرجز التي يجب على الداعية الرسالي مقاطعتها ))(٥٩) .

فالسيد المدرسي يوافق الذين سبقوه في آرائهم ويُزيد عليها ، الإحتراز والحذر من كل باطل ، فهو يعرض آراءهم ومن ثم يزيد عليها الإحتراز من الرجز على الصعيد الفردي من عقائد وأفكار باطلة وأخلاق وصفات سيئة وممارسات وسلوكيات خاطئة ، وعلى الصعيد الاجتماعي من فواحش كالزنى والسرقة وغيرها ، وعلى الصعيد السياسي من إعانة الطغاة على الفقراء ، والخضوع للظلمة وغيرها (٦٠) .

**٧. التوعية والإرشاد :**

هو أحد الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [ الضحى (٩)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((لقد نهض النبي من أرض الحرمان، فكان نصير المحرومين، وقد أوصاه الرب بمداراة اليتيم، ونهاه عن قهره، وتجاوز حقه. ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ إن إحساس اليتيم بالنقص يكفيه قهرا، ولا بد أن يقوم المجتمع بتعويض هذا النقص بالعطف عليه، لكي لا يتكرس هذا النقص في نفسه، فيصاب بعقدة الضعة، ويحاول أن ينتقم عندما يكبر من المجتمع، ويتعالى على أقرانه، ويستكبر في الأرض. ولعل التعبير بعدم القهر يشمل أمرين: الأول: دفع حقوق اليتيم إليه، الثاني: عدم أخذ الحق من عنده بالقهر والتسلط))(٦١) .
وإلى هذا المعنى ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسير هذه الآية المباركة ، وذلك في قوله : (( فأوصاه برعاية حق اليتيم )) (٦٢) ، وكذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) وإبن كثير ت(٧٧٤هـ) فهم يذكرون هذا المعنى من تلطف وعطف على اليتيم ورعايته وعدم زجره (٦٣) من خلال توعية رسول الله بيتمه في السابق ، فجاء الإرشاد إليه بعدم أذية اليتيم.

فجاء رأي السيد المدرسي موافقاً لآراء علماء التفسير السابقين .

يبدو أن هذا الإرشاد جاء من باب [ إياك أعني واسمعي يا جارة ] فالرسول الكريم ليس بحاجة لهذا الإرشاد وإنمّا هو على خُلقٍ عظيم والقرآن يأمرنا بأخذنا بما يأمرنا به حيث قال تعالى : ﴿ مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [ الحشر (٧)] ، فالتوعية والإرشاد لنا ، وإنما جاء الخطاب للرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله " بوصفه الراعي الأول للبشرية ، ومخاطبته تشمل جميع الوجودات لأنه واسطة فيض الوجودات ، وهو ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة (١٢٨)] ، فمن باب أولى أن يكون مرشداً لنا ومعلماً ، وهو كذلك ، فالمعني بهذه الآية ليس الرسول الأكرم ، وإنما توعية وارشاد للمسلمين .

**٨. السبق :**

يأتي التقديم والتأخير بسبب سبق في الخلق ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [ الذاريات (٥٦)] ، وقد أشار السيد المدرسي إلى الأسبقية في الخلق بالنسبة للجن على الإنس في آية الحجر فيقول : ((قبل أن يخلق الله البشر خلق عدوه- الجان- الذي يقابل الإنس، ذكر هنا بلفظة جان للدلالة على طبيعته كما نقول **(الإنْسَان)** ونشير إلى طبيعته دون ملاحظة أفراده ))(٦٤) ، فالأسبقية في الخلق هي من حتَّمت على أن يأتي لفظ الجن سابقاً على لفظ الإنس . وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر (٢٧)] .

وذهب إلى هذا المعنى السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسير هذه الآية المباركة فيقول: ((لعلَّ تقديم الجن على الإنس لسبق خلقهم على خلق الإنسان قال تعالى : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر (٢٧)] ))(٦٥) ، فقد وافق السيد المدرسي الطباطبائيَّ في تفسير هذه الآية المباركة.

لكن العلوي ت( ٧٤٩هـ) له رأي آخر في تفسير سبق اللفظ وتأخير الآخر بين الجن والإنس فيقول : ((إن الجن إنما قُدم ههنا لما كان المقام مقام خطاب بإمتثال الأوامر في العبادة ، فقدَّمهم لمّا كانت المخالفة منهم في ترك العبادة أكثر من الإنس ))(٦٦) ، وهذا الرأي فيه وجهة نظر قريبة ، لكن ما ذهب إليه السيد المدرسي والسيد الطباطبائي هو أقرب للسياق ، فالسبق في الخلق أقرب للسياق من السبق في العصيان ، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، وآية الحجر فسرت آية الذاريات بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر (٢٧)] .

ولم يتعرض الزمخشري ت(٥٣٨هـ) أو أبو حيان ت(٧٤٥هـ) لهذه الأسبقية بتفاصيلها إن كانت في الخلق أو في العصيان (٦٧) .

## الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي نزَّلَ الكتابَ على عبدهِ ليكونَ للعالمينَ نذيراً ، والصلاةُ والسلامُ على نورِ الهدى ، وبيدرِ الرحمةِ ، وغيثِ الرأفةِ ، خيرِ مَنْ وطئ الثرى ، وعلى آلهِ مصابيحِ الدجى ، وسادةِ الورى ، النجباء الأتقياء الأولياء ، الذين أُذهِبَ عنهم الرجسَ وطُهِروا تطهيراً .

بعد هذه الرحلة التي قضيناها مع تفسير ( **من هدى القرآن** ) تمخض البحث عن نتائج توصلت إليها من خلال التوغل في سبر هذا التفسير نوردها كالآتي :

١. تميّزَ السيد المدرسي بمنهجية علمية في تفسيره ، فقد اعتمد تفسير القرآن بالقرآن تارة ، وأخرى تفسير القرآن بالرواية الواردة عن أهل البيت " عليهم السلام" وتارة من خلال استنطاقه للآيات ، وينتقل بين هذه وتلك بالتحليل ، حتى وصل بنا إلى المعنى البلاغي للآية ، المنسجم مع سياق النص المقدس ، فلم يُقطِّع النص وإنَّما قرأه قراءة شمولية لإستنتاج معنى سياقي متكامل .

٢. في أحوال الجملة كان السيد المدرسي ينتمي إلى المدرسة الأصولية في مفهوم الجملة ، إذ كانت الجملة عنده : هي أصغر مركب يشتمل على مناسبة بين أطرافه ، أما علماء البلاغة والنحو فإنَّهم كانوا يرون أن الجملة : هو المركب الذي يحسن السكوت عليه مع المناسبة .

٣. فصّل السيد المدرسي في التقديم والتأخير ، فأشار إلى أكثر مفاصله ، وعلل مقاصده وبيَّن الحكمة منه ، وما أفاده من أغراض بلاغية ، منها : التخصيص ، والحصر ، والعناية ، والتنبيه ، والتوعية والإرشاد ، وغيرها .

٤. فرَّق السيد المدرسي بين التخصيص والحصر ، وهذا من الجهود البلاغية التي تُحسب له .

٥. كانت آراء المفسرين الكبار حاضرة في تفسيره ، اذ وافقهم في البعض وخالفهم في أخرى .

٦. لم يكن السيد المدرسي منعزلاً عمن سبقه من المفسرين ، فقد عرض بعض آراء المفسرين كالزمخشري والفخر الرازي والشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي والسيد الطباطبائي ، و ناقش آراءهم مناقشة علمية مستفيضة فقاده ذلك إلى موافقة آرائهم أو مخالفتها بتجرد وموضوعية .

٧. لم يُسلم السيد المدرسي بكل ما ورد في التراث البلاغي التفسيري ، بل كان له رأيه الخاص ، ولم يكن يعتني بموافقة المفسرين فيما يذهبون اليه بل كثيراً ما كان يُزيد على ما جاء به المفسرون.

٨. كان التفسير الكبير ( مفاتيح الغيب ) للفخر الرازي والميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي ، اكثر المصادر وروداً في تفسيره ، مما يجعلنا نحكم أن هذين التفسيرين كانا محط اعتناء السيد المدرسي والمعين الذي ينهل منه في تفسيره للآيات القرآنية .

هذه ابرز النتائج التي توصل إليها البحث والحمد لله رب العالمين ....

**الهوامش**

(١) معجم مقاييس اللغة : ج٥ : ص٦٥ ، ويُنظر : المعجم القرآني : ج٣ : ص٢٨ .

(٢) معجم مقاييس اللغة : ج١ : ص٦٤ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص٢٣٣ ، يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٢ : ص٣٢٥.

(٤) يُنظر : الكتاب : ج١ : ص٢٤.

(٥) يُنظر : المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٢م : ص٥٧.

(٦) يُنظر : معاني القرآن ، للفرَّاء : ج٢ : ص١٩٥ ، ج٣: ص٢١٤ ، ص٢٣٦ .

(٧) مجاز القرآن : ج١ : ص١٨٥ .

(٨) يُنظر : معاني القرآن ، للأخفش : ج٢ : ص٣٠١ .

(٩) دلائل الإعجاز : ص١٠٦ ، يُنظر : عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية : ص١٣٨ .

(١٠) يُنظر : البحث البلاغي في تفسير اللباب ( رسالة ) : ص٨٤ .

(١١) يُنظر : مفتاح العلوم : ص١٩٤ .

(١٢) التلخيص : ص٧٤ .

(١٣) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص٢٣٩ .

(١٤) الكشاف : ج١ : ص١٠٢ .

(١٥) يُنظر : تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٤ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب : ج١٩ : ص١٢٣ ، حاشية الشيخ زادة : ج٣ : ص٤٨٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٢٤٩ .

(١٦) اجابة السيد المدرسي لسؤال الباحث : ما هو رأيكم في التقديم والتأخير الوارد في القرآن الكريم ، وقد أجاب السيد المدرسي بما اوردناه من معنى . اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨ .

(١٧) فقه الإستنباط : ج٢ : ص٢١٠ . ٢١١ .

(١٨) دلائل الإعجاز : ص١٠٦ .

(١٩) لقاء للباحث مع السيد المدرسي في اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨ .

(٢٠) يُنظر : التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية : ص١٣ .

(٢١) التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية : ص١٣ .

(٢٢) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص١٠٦ ، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة "دراسة تطبيقية" ، (رسالة ) : ص٤٦ .

(٢٣) دلائل الإعجاز : ص١٠٠ ـ١٠١ .

(٢٤) من هدى القرآن : ج٥ : ص١١٣ .

(٢٥) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص١٥٤. ١٥٥ ، بدر الدين الزركشي وجهوده البلاغية ،(رسالة) : ص٦٤ .

(٢٦) من هدى القرآن : ج٩ : ص٨٠ .

(٢٧) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص١١٤ .

(٢٨) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٤٥٨ ، المحرر الوجيز : ج٧ : ص٥٦٥ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٢٨ .

(٢٩) يُنظر : الدر المنثور : ج١٣ : ص٢٤٠ .

(٣٠) من هدى القرآن : ج٢ : ص٢٦٢ .

(٣١) يُنظر : الكشاف : ج٢ : ص٢٧٦ ، المحرر الوجيز : ج٣ : ص٢٢٤ ، البحر المحيط : ج٣ : ص٥٤٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج٦ : ص٦٥ .

(٣٢) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٩٤ .

(٣٣) المصدر نفسه : ج١٢ : ص١٨٤ .

(٣٤) يُنظر : المصدر نفسه : ج٣ : ص٢١٣ ، ج١٠ : ص١٦٩ ، ص١٩٣ ، ص٤٤١ .

(٣٥) المصدر نفسه : ج٥ : ص٣٥٠ .

(٣٦) من هدى القرآن : ج٥ : ص٣٩٨ .

(٣٧) يُنظر : الكشف والبيان : ج٧ : ص٢٧ ، التفسير البسيط : ج١٥ : ص٤٤٣ ، الكشاف : ج٤ : ص٢٠١ ، المحرر الوجيز : ج٦ : ص٢٥٨ ، البحر المحيط : ج٦ : ص٣٥٢ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٤ : ص٣٥٥.

(٣٨) التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية : ص١٤ .

(٣٩) يُنظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن :ص٢١٧.

(٤٠) يُنظر : الكشاف: ج١ : ص١٠٠، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج١ : ص١٠٨ ، تفسير الطبري :ج١:ص٩.

(٤١) يُنظر : من هدى القرآن : ج١ : ص١٤٣ . ١٤٤.

(٤٢) من هدى القرآن : ج١ : ص١٤١ .

(٤٣) البحر المحيط : ج١ : ص١٣١ .

(٤٤) من هدى القرآن : ج٥ : ص٢٨ .

(٤٥) المصدر نفسه : ج٧ : ص١٧١ .

(٤٦) يُنظر : من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٢٧ ، ج٨ : ص١٥ ، ص٦٥ ، ص٩٨، ص٤٢٢ ، ج١٠ : ص٤٢٤ ، ج١١ : ص٣٤١ ، ج١٢ : ص١٥٧ .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : كاف الخطاب .

(٤٧) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٩ .

(٤٨) الميزان في تفسير القرآن : ج١ : ص٢٨ .

(٤٩) يُنظر : الكشاف : ج١: ص١٠٢ ، تفسير البيضاوي : ج١: ص٦ .

(٥٠) من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٩٥ .

(**) كذا في الأصل والصواب : متصلاً .

(٥١) البحر المحيط : ج٧ : ص٢٧٣ .

(٥٢) من هدى القرآن : ج٨ : ص١٩٠ .

(*) يُنظر : التفسير الكبير : ج٣٠: ص٢٠٠ .

(**) يُنظر : الميزان في تفسير القرآن ج٢٠:ص٨٦.

(***) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن : ص١٧٧ .

(٥٣) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٥٢ .

(٥٤) المصدر نفسه : ج٨ : ص٤٤ .

(٥٥) الكشاف : ج٥ : ص٢١٦

(٥٦) البحر المحيط : ج٧ : ص٣٥٠ .

(٥٧) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٩ : ص٣١٩ .

(*) يُنظر : التفسير الكبير : ج٣٠: ص١٩١ .

(٥٨) من هدى القران : ج١١ : ص٣٤٢ .

(*) يُنظر : مجمع البيان في تفسير القران : ج١٠ : ص٤٨٨ .

(**) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن : ج١٠ : ص١٧٣ .

(***) يُنظر : التفسير الكبير ( مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص١٩٣.

(****) يُنظر : المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج : ج٢ : ص٢٧٠ ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : ج١٧ : ص٣٠٩ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ج٦ : ص٢٨١ .

(٥٩) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٤٤ .

(٦٠) يُنظر : المصدر نفسه : ج١١ : ص٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

(٦١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٢٣٦ .

(٦٢) التفسير الكبير : ج٣١ : ص٢٢٠ ، يُنظر : سورتا المائدة ومريم موازنة بلاغية ، (رسالة) : ص١٥٨ .

(٦٣) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٣٩٤ . ٣٩٥ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٤٨٢ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٤ : ص٣٨٥ ، ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً الدكتور فاضل السامرائي ، يُنظر : على طريق التفسير البياني ، د .فاضل السامرائي ، جامعة الشارقة ، الإمارات ، د.ط ، ٢٠٠٢م : ج١:ص١١٩ .

(٦٤) من هدى القرآن : ج٤ : ص٢٧٧ .

(٦٥) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص٤٢١ .

(٦٦) الطراز : ج٢ : ص٢٣٢ .

(٦٧) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٢٠ ، البحر المحيط : ج٨ : ص١٤١.

**المصادر والمراجع**


- الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة "دراسة تطبيقية" ، (رسالة ) ، خالد بن محمد **العثيم** ، جامعة ام القرى ، كلية اللغة العربية، السعودية ، ١٩٩٨م.
- البحر المحيط: محمد بن يوسف (أبو حيان **الأندلسي**) ت( ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية)، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- بدر الدين الزركشي وجهوده البلاغية ، (رسالة ) ، مكي محي عيدان **الكلابي** ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م .
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين **الزركشي** (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين **الطوسي** ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإسلام الإعلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩م.
- التفسير البسيط ، أبو حسن علي بن احمد **الواحدي** ، ت (٤٦٨هـ ) ، تحقيق : د. نورة بنت عبد الله الورثان ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٣٠هـ .
- تفسير البيضاوي ، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي **البيضاوي** ت(٦٨٥هـ) ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم ، **ابن كثير** الدمشقي ت (٧٧٤هـ) تحقيق : مصطفى السيد ، وآخرون ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، الجيزة ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- التفسير الكبير المسمى( مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر **الرازي** ت( ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢، د.ت .
- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن المعروف ( **الحر العاملي** ) ، مؤسسة أهل البيت "عليهم السلام " لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .
- التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية ، (بحث) : د. **تومان غازي** حسين ، د. **خالد كاظم** حميدي ، مجلة دواة ، تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة ، قسم الإعلام ، دار اللغة العربية ، العدد السابع ، ٢٠١٦ م.
- التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب **القزويني** ت(٤٠٦هـ)، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م.
- حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ، محيي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي المشهور بـ **(شيخ زاده)** ت(٩٥٠هـ) ، المكتبة الإسلامية ، ديار بكر ، تركيا، د.ط ، د.ت .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف ( **السمين الحلبي** ) ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق: أحمد محمد الخرَّاط ، دار القلم ، دمشق ، د.ط ، د.ت .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣ م.
- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر **الجرجاني** ، ت(٤٧١هـ) ،تعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢م.
- عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية : د. احمد **احمد بدوي** ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،د.ط ، د . ت .
- فقه الإستنباط ، السيد محمد تقي **المدرسي** ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣م.
- الكتاب، كتاب **سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت( ١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله **الزمخشري** ت(٥٣٨هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨م.
- الكشف والبيان ( تفسير الثعلبي) ، الهمّام أبو إسحاق **الثعلبي** ت(٤٢٧هـ) ، تحقيق: أبو محمد بن عاشور ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي **بن عادل** الدمشقي الحنبلي ت(٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود ،والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .١٩٩٨م.
- المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين **أبن الأثير** الجزري (ت٦٣٧هـ) ،تحقيق : كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.
- مجاز القرآن ، معمّر بن المثنى **أبو عبيدة** ت(٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سركين ، نشر مطبعة سامي الخانجي ألكتبي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- المختصر في تاريخ البلاغة ، د. عبد القادر **حسين** ، دار الشروق ، ط١ ، ١٠٤٢هـ – ١٩٨٢م.
- معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة (**الاخفش الأوسط**) ، ت( ٢١٥هـ) ، تحقيق : د. فائز فارس ، دار الرشيد للنشر ، ط٢ ،١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى ابن زياد **الفراء** ت(٢٠٧هـ) تحقيق : د. محمد علي النجار، واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨م.
- المعجم القرآني ، دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم ، د. حيدر علي **نعمة** ، د. أحمد علي **نعمة** ، مطبعة السيماء ، بغداد ، د.ط ، ٢٠١٣ م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد **مطلوب** ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٦م.
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد **ابن فارس** ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م.

- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي **السكاكي** ت( ٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- من هدى القرآن ، السيد محمد تقي **المدرِّسي** ، دار القارئ ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٨م .
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى **النووي** ت (٦٧٦هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ .
- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين **الطباطبائي** ت(١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م) ، الأعلمي ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩١هـ.